فاجعة الطف



السيد محمد كاظم القزويني

هيئة محمد الأمين

فاجعة الطف

أو

مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)

تأليف

السيد محمد كاظم القزويني

الطبعة الثانية عشر

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ

عظَّم الله أجورَنا وأجوركم بمصابنا بسيدنا الحسين عليه السلام، وجعلَنا الله من الطالبين بثأره مع ولَده الامام المهدي المنتظر عجّل الله تعالىٰ فرَجه.

إنّ هذا اليوم أعظم يوم في الإسلام، وأكبر يوم تاريخي في العالَم، لقد وقعتْ في مثْل هذا اليوم الفاجعة العظمىٰ والمصيبة الكبرىٰ التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ولا نظيراً، واقعة دامية، وكارثة مؤلمة حلَّتْ بالإسلام والمسلمين، فأبكت العيونَ على مرِّ

القرون والدهور، وأحرقت القلوب بنار الأسىٰ والحزن.

فهذا اليوم تتجدَّد فيه أحزان أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وأحزان كلّ مَن يَحمل لهم الولاء والمودَّة.

والعجَب كلّ العجَب مِن بعض المسلمين الذين يجعلون هذا اليوم يومَ عيدٍ وسرور، وهم في غفلة عمّا حَدَث في هذا اليوم وما نزل بسيّد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله وريحانته الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) مِن المصائب والنوائب التي أشفقن منها الجبال وأبينَ أن يَحملنها، وهذه الفجائع نزلت بآل رسول الله الطيّبين على يد بَني أميّة وأتباعهم.

فقد مات معاوية بن أبي سفيان في النصف من رجب سنة ٥٩ أو ٦٠ من الهجرة، واستولىٰ إبنه يزيد على مسند الخلافة، وادّعىٰ أنه خليفة رسول الله

والقـائم مقـامـه؛ مع العلم أنـه لم تكن في «يزيد» مؤهّلات الخلافة، مِن نَسَبه المهتوك وحَسَبه الدنيء، ومـوبقـاتـه التي كان يَرتكبهـا مِن الخمـور والفجور واللعب بالكلاب والقردة، والاستهتار بجميع معنىٰ الكلمة.

فاستنكف المسلمـون أن يدخلوا تحت طاعـة رجل لا يؤمن بالله ولا بالرسول، ويَحمل عقيدة الإلحاد والزندقة كما صرّح بذلك يوم قال:

لَعِـبَتْ هاشمُ بالملك فلا خَبَر جاء ولا وَحــي نَزَلْ

كَتب يزيد كتـابـاً إلى الـوليد بن عتبة بن أبي سفيان (والي المدينة) يُخبره بموت معاويه، ويأمره بأخذ البيعة من أهل المدينة عامّة ومن الحسين بن عليّ خاصّة.

فأرســل الـوليد الى الإمـام الحسين وقرأ عليه كتاب يزيد، فقال الحسين: أيها الوليد: إنَّك تَعلم أننا أهلُ بيتٍ بنا فَتَحَ الله وبنا يَختم، ومِثْلي لا يُبايع

لِيَزيد شارب الخمور وراكب الفجور وقاتلِ النفس المحترمة.

وخرج الإمام الحسين من المدينة خائفاً يترقّب وقصَد نحو مكّة؛ فجعل أهل العراق يُكاتبونه ويُراسلونه ويَطلبون منه التوجّه إلى بلادهم لِيُبايعوه بالخلافة، لأنه أولىٰ مِن غيره، فإنه ابن رسول الله وسبطه، والمنصوص عليه بالامامة من جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) لقوله: ﴿**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**﴾.

أي سواء قاما بأعباء الخلافة أو غُصبتْ عنهما.

إلى أن اجتمع عند الحسين إثنا عشر ألف كتاب من أهل العراق وكلّها مضمون واحد، كتبوا إليه: قد أينعتِ الثمار واخضرّ الجناب، وانما تقدم على جُندٍ لك مجنَّدة،إنّ لك في الكوفة مائة ألف سيف، إذا لم تقدم إلينا فإنا نخاصمك غداً بين يدي الله.

فأرسل الحسين ابنَ عمّه مسلم بن عقيل إلى

الكوفة، فلمّا دخل مسلم الكوفة اجتمع النّاس حوله وبايعوه لأنه سفير الحسين وممثّله فبايعه ثمانية عشر ألفاً أو أربعة وعشرون ألفاً.

وكَتب مسلم إلى الحسين يُخبره ببيعة الناس ويَطلب منه التعجيل بالقدوم، فلما علم يزيد ذلك أرسل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، فدخل ابن زياد الكوفة وأرسل إلى رؤساء العشائر والقبائل يُهدّدهم بجيش الشام ويُطمعهم.

فجعلوا يتفرّقون عن مسلم شيئاً فشيئاً، إلى أن بقي مسلم وحيداً، فأضافته امرأة فطوّقوا الدار التي كان فيها، وخرج مسلم، واشتعلت نار الحرب، وقَتل مسلم منهم مقتلة عظيمة، وأُلقي عليه القبض يوم عرَفة وضَربوا عنقه، وجعلوا يَسحَبونه في الأسواق والحبل في رجليه.

وخرج الحسين من مكّة نحو العراق يوم الثامن من ذي الحجّة، ومنَعه جماعة عن التوجّه نحو العراق

وأحـدهم عبد الله بن العباس (حَبْر الأُمّة) فقال له الحسين: يابن عباس: إنّ رسول الله أمَرني بأمْرٍ أنا ماضٍ فيه.

فقال: بماذا أمرَك جدُّك؟

فقال الحسين: أتاني جدّي في المنام وقال: يا حسين أُخرج إلى العراق فإن الله شاء أن يَراك قتيلا.

فقال إبن عباس: إذن فما معنىٰ حَمْلُك هؤلاء النساء معك؟

فقال الحسين: هنَّ ودائع رسول الله ولا آمنُ عليهنّ أحدا، وهنّ أيضاً لا يُفارقنَني.

وخرج الحسين قاصداً الكوفة، وفي أثناء الطريق التقىٰ به سريّة من الجيش تتكـوّن من ألف فارس بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي، وأرادوا إلقاء القبض على الحسين وإدخاله الكوفة على إبن زياد، إلا أنّ الحسين إمتَنَع من الانقياد لهم، فَتمّ القرار على أن يَسلك الحسين طريقاً لا يُدخله الكوفة ولا يَردّه إلى

المدينة، فوصَلَ إلى أرض كربلاء فنزل فيها.

وقام إبن زياد خطيباً في الكوفة وقال: مَن يأتيني برأس الحسين فله الجائزة العظمىٰ، وأُعطه ولايةَ مُلك الرَيّ عشر سنوات. فقام عمر بن سعد بن أبي وقاص وقال: أنا.

فَعقـدَ له رايةً في أربعة آلاف رجل، وأصبح الصباح، وأولُ راية سارتْ نحو كربلاء راية عمر بن سعد، ولم تزل الرايات تترىٰ حتى تكاملوا في اليوم التاسع من المحرّم ثلاثين ألفاً أو خمسين ألفاً أو أكثر من ذلك.

وحالوا بين الحسين وأهل بيته وبين ماء الفرات من اليوم السـابع من المحرّم، ولما كان اليوم التاسع إشتدَّ بهم العطش، واشتدّ الأمر بالمراضِع والأطفال الرُضَّع.

قالت سُكينــة بنت الحسـين: عزَّ ماؤنـا ليلة التاسع من المحرّم فَجفَّتِ الأواني ويَبُسَتِ الشفاه حتى

صِرْنـا نتوقَّع الجرعة من الماء فلم نجدها، فقلت في نفسي أمضي إلى عمّتي زينب لعلّها إدّخرت لنا شيئاً من المـاء، فمضيتُ إلى خيمتهـا فرأيتها جالسة وفي حِجْرها أخي عبد الله الرضيع وهو يلوك بلسانه من شدَّة العـطش وهي تارة تقـوم وتارة تقعد، فخنَقَتْني العَبرة فلزمتُ السكوت، فقالت عمتي: ما يُبكيكِ؟ قلت: حال أخي الرضيع أبكاني، ثم قلت: عمّتاه قومي لنمضي إلى خِيَم عمومتي لعلّهم إدّخروا شيئاً من الماء، فمضينا واخترقنا الخيم بأجمعها فلم نجد عندهم شيئـاً من المـاء، فرجَعتْ عمّتي إلى خيمتها فتبعتُها وتَبِعنـا من نحو عشرين صبياً وصَبيّة، وهم يطلبون منها الماء وينادون: العطش.. العطش.

وآخرُ راية وصلت إلى كربلاء راية شمر بن ذي الجوشن في ستة آلاف مساء يوم التاسع، ومعه كتاب من إبن زياد إلى ابن سعـد، فيه: فإن نزل الحسـين وأصحـابـه على حُكمي واستسلَمـوا فابعث بهم إليَّ

سِلْما، وان أبَــوا فازحَـفْ إليهم حتى تقتلهم، فإن قتلتَ حسيناً فأوطيء الخيل صدرَه وظهره. . . . الى آخره.

فزحف الجيش نحو خيام الحسين عند المساء بعـد العصر، واقـترب نحو خِيَم الحسين، والحسين جالس أمـام خيمتـه، إذ خَفَق برأسـه على ركبتيه، وسمعتْ أختُـه زينب الكـبرىٰ بنت أمـير المؤمنـين الصيحة فدَنتْ من أخيها وقالت: يا أخي أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربتْ؟

فرفـع الحسين رأسه وقال: أُخيّة: أتىٰ رسولُ الله الساعة في المنام فقال لي: إنك تروحُ إلينا.

فلَطَمَتْ اختُـه وجهَها وصاحتْ: واويلاه، فقــال لها الحسـين: ليس الـويل لكِ يا أُخيّة، ولا تُشمتي القوم بنا، أُسكتي رحمكِ الله. فقال له العباس بن عليّ: يا أخي قد أتاك القوم فانهض.

فنهض ثمّ قال: يا عباس إركب ـ بنفسي أنت

ـ يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بَدا لكم؟ وما تريدون؟

فأتاهم العباس في نحو عشرين فارساً، فقال لهم العباس: ما بدَا لكم وما تريدون؟

قالوا: قد جاء أمر الأمير أن نَعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نُناجزكم.

فرجع العباس إلى الحسين وأخبره بمقال القوم، فقال الحسين: إرجع اليهم، فإن استطعتَ أن تؤخّرهم إلى غد، وتَدفعهم عنّا العَشيّة لعلّنا نُصلّي لربّنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يَعلم أني قد كنتُ أُحبّ الصلاة له وتلاوةَ كتابه.

فمضىٰ العباس إلى القوم وسألهم ذلك، فأبَوا أن يُمهلوهم، فقال عمرو بن الحجّاج الزبيدي: وَيلكم والله لو انهم من التُرك والديلَم وسألونا مِثْلَ ذلك لأجَبناهم فكيف وهم آل محمد؟!

وَباتَ الإمام الحسينُ وأصحابهُ وأهل بيته ليلةَ

عاشوراء، ولهم دَوِيٌّ كَدويِّ النحل، ما بين قائمٍ وقاعد وراكعٍ وساجد.

وجَمعهم الحسين وقام فيهم خطيباً وقال: أمّا بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خيراً من أصحابي ولا أهلَ بيتٍ أبرَّ ولا أوصَلَ ولا افضَلَ من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً، فلقد بَررتُم وعاوَنتم، ألا: وإني لا أظن يوماً لنا من هؤلاء الأعداء إلّا غداً، ألا: وإني قد أذنتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ من بيعتي لَيس عليكم مني حَرَج ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيَكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سوادِ هذا الليل، وذَروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يُريدون غيري.

فقال له اخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر وَلِمَ نفعل ذلك؟ لِنبقىٰ بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا، وتكلّم إخوته وجميع أهل بيته فقالوا: يابن رسول الله: فما يقول لنا الناس وماذا نقول لهم؟ نقول: إنّا تركنا

شيخَنا وكبيرَنا وابنَ بنت نبيّنا لم نَرمِ معه بسهمٍ ، ولم نطعنْ معه برمح ، ولم نضربْ معه بسيف لا والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكن نقيكَ بأنفسنا حتى نُقتل بين يديك ونَرِدَ موردك، فقبَّح الله العيش بعدك.

ثمّ قام مسلم بن عوسجة وقال: نحن نخلّيك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو؟! لا والله لا يراني الله وأنا أفعل ذلك حتى أكسِرَ في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولا أُفارقك حتى أموت معك.

وقام سعد بن عبد الله الحَنفي فقال: لا والله يابن رسول الله لا نخلّيك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصيّةَ رسوله محمّد، ولو علمتُ أني أُقتل فيك ثم أُحيىٰ، ثم أُحرَقُ حياً، ثم أُذرىٰ ويُفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقىٰ حِمامي دونك،

وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟؟

ثم قام زهير بن القين فقال: والله يابن رسول الله لوددتُ أني قُتلتُ ثمّ نُشرتُ ألف مرة وإن الله قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفِتية من إخوتك ووُلْدك وأهل بيتك.

وقام الأصحاب وتكلّموا بما تكلّموا، فلما رأىٰ الحسين ذلك منهم قال لهم: إن كنتم كذلك فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى منازلكم.

فكَشَف لهم الغطاء ـ بإذن الله ـ ورأوا منازلَهم وحُورهم وقُصورهم، فقال لهم الحسين: يا قوم إني غداً أُقتل وتُقتلون كلُّكم معي، ولا يبقىٰ منكم واحد.

فقالوا: الحمد لله الذي أكرمَنا بنَصرك، وشرّفنا بالقتل معك، أو لا ترضىٰ أن نكون في درجتك يابن رسول الله؟

فقال: جزاكم الله خيراً.

فقـال له القاسم بن الامام الحسن المجتبىٰ: وأنا في مَن يُقتل؟ فأشفَقَ عليه الحسين وقال: يابُني كيفَ الموت عندك؟

قال: يا عمّ فيك أحلىٰ من العسل.

فقال الحسين: إي والله ـ فداك عمّك ـ إنك لأحَدُ مَن يُقتَل من الرجال معي، بعد أن تُبلَوا بلاءاً حسَناً، ويُقتل ابني عبد الله.

فقال: يا عمّ ويَصلون إلى النساء حتى يُقتل وهو رضيع؟

فقـال الحسين: أحمله لأدُنيه من فمي فيرميه فاسق فينحره.

ثم قال الحسين: الا ومَن كان في رَحْلِه إمرأة فلينصرف بها إلىٰ بَني اسد.

فقام عليٌّ بن مظاهر وقال: لماذا يا سيدي؟

فقال: إنّ نسائي تُسبىٰ بعد قتلي، وأخاف علىٰ

نســائكم من السَبي ، فمضىٰ عليّ بن مظاهــر إلى خيمته فقامت زوجته واستقبلته وتبسّمت في وجهه، فقـال لها : دَعيني والتبسّم فقالت : يابن مظاهر إني سمعتُ غريب فاطمة خَطَب فيكم خطبة وسمعت في آخرها هَمهَمة ودمدمة فما علمتُ ما يقول؟

قال : يا هذه إن الحسين قال لنا : ألا ومَن كان في رَحْله إمرأه فليذهب بها إلى بَني أسد، لأني غداً أُقتَل ونسائي تُسبىٰ .

فقالت: وما أنت صانع؟

قال : قومي حتى اُلحقك ببَني عمّكِ . فقامت ونطحت رأسها بعمود الخيمة وقالت :والله ما أنصفتَني يابن مظاهر أَيسرُّك أن تُسبىٰ بنات رسول الله وأنا آمنة من السَبي؟ أيسرُّك أن يَبيضّ وجهك عند رسول الله ويَسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء؟ والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء . فرجع علي بن مظاهر إلى الحسـين وهـو يبكي فقال الحسين : ما يُبكيك؟

قال: يا سيدي أَبَتِ الأسَدية إلا مواساتكم، فبكىٰ الحسين وقال: جُزيتم منّا خيراً.

فلمّا أصبح الصباح من يوم عاشوراء نادىٰ الحسين أصحابَه وأمرَهم بالصلاة، فتيمّموا بدلاً عن الوضوء وصلّىٰ بأصحابه صلاة الصبح ثم قال: «اللّهم أنتَ ثِقَتي في كلّ كَرْبٍ وأنتَ رجائي في كلّ شِدّة، وأنتَ لي في كلّ أمرٍ نَزَلَ بي ثقة وعُدّة، كم مِن كَرْبٍ يَضعُف فيه الفؤاد وتَقِلّ فيه الحيلة، ويَخذل فيه الصديق ويَشمت فيه العدو، أنزلتُه بك وشكوتُه إليك رغبة مني إليك عمّن سِواك، ففرّجتَه عنّي، وكشفتَه، فأنتَ وليُّ كلّ نعمة؛ وصاحبُ كلّ حسَنة ومنتهىٰ كل رغبة».

ثم نظر إلى أصحابه وقال: «إنّ الله قد أذِنَ في قتلكم وقتلي؛ وكلّكم تُقتلون في هذا اليوم إلاّ ولدي عليّ بن الحسين (أي زين العابدين) فاتقوا الله واصبِروا».

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وخرَج بالناس، وجعلَ علىٰ ميمنة العسكر عمرو بن الحجّاج الزبيدي؛ وعلىٰ الميسرة شمر بن ذي الجوشن، وعلىٰ الخيل عروة بن قيس، وعلىٰ الرَجّالة شبَث بن ربعي، وأعطىٰ الراية دُريداً غلامَه.

ودعىٰ الحسين بفرس رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المرتَجزْ، وعَبّأ أصحابه، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، وقيل: أكثر من ذلك، فجعلَ زُهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطىٰ رايتَه أخاه العباس، وجعلوا البيوت والخِيَم في ظهورهم؛ وأمر بحَطَب وقَصَب أن يترك في خندق عملوه في ساعةٍ من الليل، وأشعَلوا فيه النار مخافة أن يأتيهم العدو من ورائهم، وجعلوا جبهة القتال جهةً واحدة، فغضب الأعداء بأجمعهم، فنادىٰ شمر بأعلىٰ صوته: يا حسين أتعجّلتَ النار قبل يوم القيامة؟

فقال الحسين: مَن هذا، كأنّه شمر؟

فقالوا: نعم.

فقال: يابن راعية المعزىٰ أنت أولىٰ بها صليّا. وأراد مسلم بن عوسجة أن يَرميَه بسهم فمنَعه الحسين، وقال: أكرهُ ان أبدأهم بالقتال.

ثم تقدّم الحسين نحو القوم في نفَرٍ من أصحابه وبينَ يديه بُرير بن خُضَير الهمداني، فقال له الحسين: كلِّم القوم. فتقدّم بُرير وقال: يا قوم اتقوا الله فإن ثِقْل محمّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريّته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه؟

فقالوا: نُريد أن نُمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرىٰ رأيه فيهم.

فقال بُرير: أفلا تَقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤا منه؟. وَيلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كُتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله

عليها؟! وَيلكم أدعوتم أهل بيت نبيّكم وحَلأتموهم عن ماء الفرات؟!، بئس ما خلّفتم نبيّكم في عترته، مالكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقال نفر منهم: ما ندري ما تقول.

فقــال بُرير: الحمــد لله الــذي زادني فيكم بصيرة، اللّهم اني أبرءُ إليك من فِعال القوم، اللهمّ ألق بأسَهم بينهم حتى يَلقوك وأنتَ عليهم غضبان.

فجعـل القـوم يرمُونه بالسهام فرجع بُرير إلى ورائـه، فتقـدّم الحسين نحو القوم، ثم نادىٰ بأعلىٰ صوتـه: يا أهل العراق ـ وكلهم يَسمعون ـ فقال: «أيها الناس إسمعوا قولي ولا تَعجلوا حتى أعظكم بما يَحقُّ لكم عليَّ، وحتى أعذر اليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك سعداء وإن لم تُعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثم اقضوا إليَّ ولا تُنظرون، إنّ وليّيَ الله الذي نزَّل الكتابَ وهو يتولّىٰ الصالحين.

ثمّ حمِدَ الله وأثنىٰ عليه وذكـــرَه بما هو أهله، وصـلّىٰ على النبيّ وآلـه وعلىٰ الملائكة والأنبياء، فلم يُسمَع متكلّم قطّ قبله ولا بعده أبلغ منه في المنطق.

ثم قال: أمّـا بعـد يا أهـل الكوفة فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها فانظروا هل يصلُحُ لكم قتْلي وانتهاك حرمتي؟

ألستُ ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه وأول مُصـدّقٍ لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بما جاء به من عند ربّه؟؟؟

أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟

أو ليس جعفر الطيّار في الجنة بجناحين عمّي؟

أو لم يَبلُغكم ما قال رســـول الله لي ولأخي: ﴿هذان سيّدا شباب أهل الجنة﴾؟

فإن صدّقتمـوني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدتُ كذباً منذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهلَه، وإن كذّبتمـوني فإن فيكم مَن إنْ سألتموه عن ذلك

أخبركم، سَلُوا جابرَ بنَ عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسَهلَ بن سعد الساعدي؛ وزيدَ بن أرقم؛ وأنَس بن مالك يُخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة مِن رسول الله لي ولأخي... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ يا قوم فإن كنتمْ في شكٍ من ذلك، أَفتشكّون أني ابن بنت نبيّكم فو الله ما بين المشرق والمغرب إبن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويَحكم! أتطالبوني بقتيل منكم قتلته أو مالٍ إستملكتُه، أَو بقصاصٍ من جراح؟؟

فأخذوا لا يكلّمونه، ونادىٰ بأعلىٰ صَوتِه فقال: أُنشدكم الله هل تَعرفونني؟

قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه.

فقال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أنّ جدي رسول الله؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أن أبي عليّ بن

أبي طالب؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أنّ أُمي فاطمة بنت رسول الله؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أولُ نساء هذه الأُمة إسلاماً؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أنّ حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنةّ عمّي؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أنّ هذا سيف رسول الله أنا مُتقلّده؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال: أُنشدكم الله هل تَعلمون أن عليّاً كان أولُ القوم إسلاماً وأعلَمهم عِلْماً وأعظمُهم حِلماً، وأنه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟

قالوا: اللهمَّ نعم.

قال:فَبمَ تَستحلّون دمي وأبي الذائدُ عن الحوض يَذودُ عنه رجالاً كما يُذادُ البعير الصادر عن الماء، ولواءُ الحمد في يد أبي يوم القيامة؟!

قالوا: قد علِمْنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك تى تذوق الموت عطشانا».

فلمّا خَطَب بهذه الخطبة وسمعتْ بناته وأُخته زينب كلامَه بكينَ ونَدبنَ ولَطمنَ خدودَهن، وارتفعتْ أصواتُهن، فوجَّه اليهن أخاه العباس وابنه عليّاً، وقال

لهما: أسكتاهنّ فلَعَمري لَيكثرن بكاؤهن.

وذكرَ السيّد ابن طاووس خطبةً أُخرى للحسين قال: فركب الحسين ناقته، وقيل: فرسَه، فاستنصتَهم فأنصتوا، وفي رواية: فأبَوا أن يُنصتوا حتى قال: وَيلكم ما عليكم أن لا تنصتوا لي فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلىٰ سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشَدين ومَن عصاني كان من المهلَكين، وكلّكم عاصٍ لأمري غير مستمعٍ قولي فقد مُلئتْ بطونُكم مِن الحرام وطُبعَ على قلوبكم، وَيلكم! ألا تُنصفون؟ ألا تسمعون؟ ألا تنصتون؟ فتلاوم القوم وقالوا أنصِتوا له. فأنصَتوا.

فحَمِدَ الله وأثنىٰ عليه وذكرَه بما هو أهله، وصلّىٰ علىٰ محمّد وآله وعلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأبلَغَ في المقال ثم قال:

«تَبّاً لكم أيَّتها الجماعة وَتَرحاً حين استصرختمُونا والهين فأصرخناكم مُوجفين، سَللتُم

علينــا سيفاً لنـا في أَيمانكم، وحشَشتم علينـا ناراً اقتـدحنـاهـا علىٰ عدوّنـا وعـدوّكم، فأصبحتم إلبَاً لأعدائكم على أوليائكم بغير عَدلٍ أَفشَوه فيكم ولا أَملٍ أصبحَ لكم فيهم؛ فهلاّ لَكم الويلات؟ تركتمونا والسيف مَشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم اليهـا كطيرة الـدبـا وتـداعيتم اليهـا كتداعي الفراش، فسُحقا لكم يا عبيد الأُمة، وشذاذ الأحـزاب؛ ونَبـذَة الكتـاب ومُحرّفي الكلم، وعُصبةَ الآثـــام، ونَفثـة الشيطان ومُـطفىء السنن. أهؤلاء تَعضُـدون؟ وعنّـا تتخادلون؟ أجَل والله غدرٌ فيكم قديم، وشـجـتْ الـيه أُصــولُكم، وتــأرّزت عليه فروعكم، فكنتم أخبثَ ثمـر شجـا للنـاظـر وأُكلة للغـاصب، ألا وإنّ الدَعيّ بن الدَعيّ قد ركّز بين اثنتين: بين السِلّة والذِلّة وهيهات منّا الذلّة، يأبىٰ الله ذلـك لنـا ورسولُه، وحُجورٌ طابتْ وجدودٌ طهرتْ، وأنوفُ حَمِيّة ونفوسٌ أبيّة مِن أن تُؤثِرَ طاعة اللئام علىٰ

مَصارع الكرام، ألا وإني زاحفُ بهذه الأُسرة مع قلّة العَدَد وخذلان الناصر، ثم قال:

فان نَهزِمْ فهزّامونَ قِدماً | وإن نُغلَبْ فغير مُغَلّبينا
وما إنْ طِبُّنا جُبنٌ ولكِنْ | مَنايانا ودَولةُ آخرينا
إذاما الموتُ رَفّعَ عن أُناسٍ | كَلا كِلَه أناخ بآخرينا
فأفنىٰ ذلكُم سرواة قَومي | كما أفنىٰ القرونَ الأوّلينا
فَلوخَلدالملوكُ إذن خَلدنا | ولو بَقي الكرامُ اذن بقَينا
فقُل للشامتينَ بنا أَفيقوا | سَيلقىٰ الشامتونَ كما لقينا

ثم أَيمُ الله لا تَلبثونَ بعدها إلا كريث ما يركبُ الفرس حتى تدورَ بكم دور الرَحىٰ وتقلق بكم قلق المحور، عَهدٌ عَهدَه إليَّ أبي عن جدّي، فأجمعوا أمركم وشُركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثم اقضوا إليَّ ولا تُنظِرون إنّي توكّلت علىٰ الله ربّي وربكم ما مِن دابة إلّا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي علىٰ صراطٍ مستقيم.

اللهمَّ احبِسْ عنهم قَطْر السماء، وابعثْ عليهم سِنينَ كَسِنيّ يوسف، وسَلّط عليهم غُلامَ ثقيف

يَسقيهم كأساً مُصبَّرة، فإنهم كذَّبونا وخَذَلونا وأنتَ ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».

وخَــطَب فيهم خطبـة أُخـرىٰ، وأَتمَّ عليهم الحجّة فما أفادَ فيهم الكلام ثم أناخَ راحِلَته، ودَعىٰ بفرس رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المرتَجز فركبه، فعنـد ذلك تقدّم عُمر بن سعد وقال: يا دُريد أَدنِ رٰايتَـك ثم أَخذَ سهماً ووضَعه في كبد القوس وقال: إشهـدوا لي عنـد الأمير فأنا أول مَن رَمىٰ الحسين، فأقبلتِ السهـام من القوم كأنها شآبيب المطر، فقال الحسين لأصحابه: قوموا رحمكم الله فإنّ هذه السهام رُسُل القوم اليكم.

فاقتتلوا ساعــة من النهـــار حَملةً وحَملةً، فلما انجلتِ الغُـبرة وإذا بخمسين من أصحاب الحسين صَرعىٰ، فعنـد ذلك ضرب الحسين بيده على لحيته الكريمة وقال: «اشتدّ غضبُ الله على اليهود إذ جعلوا له ولدا، واشتدّ غضَبه على النصارىٰ إذ جعلوه ثالثَ

ثلاثة، واشتدَّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر، واشتدَّ غضبه على قوم اتَّفَقتْ كلمتُهم على قتل إبن بنت نبيّهم، أما والله لا أُجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقىٰ الله وأنا مخضّب بدمي».

ثم جعَلَ أصحاب الحسين يبرزُون واحداً بعد واحد، وكلُ مَن أراد منهم الخروج ودَّع الحسين وقال السلام عليك يا أبا عبد الله. فيُجيبه الحسين: وعليك السلام ونحن خَلفك، ثم يتلو: **﴿فمنهم مَن قضىٰ نَحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾**.

ولا يبرُز منهم رجلٌ حتى يَقتل خَلقاً كثيراً مِن أهل الكوفة، فضيَّقوا المجال على الأعداء حتى قال رجل من أهل الكوفة يَصِفُهم:

«ثارتْ علينا عِصابةٌ أيديها على مَقابض سُيوفها، كالأُسود الضارية تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها علىٰ الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغَب في المال، ولا يَحول حائل بينها وبين الورود

على حياض المنية، والاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رُويداً لأتتْ على نفوس العسكر بحذافيرها».

ونعم ما قيل في حقّهم:

قَومٌ إذا نوُدوا لِدَفْـع مُلمّــةٍ
والخيلُ بين مُدَعَّسٍ ومُكـردَس
لَبسوا القلوبَ على الدروع وأقبَلوا
يتهـافتون على ذهابِ الأنفسِ

وأَقبلَ الحرّ بن يزيد الرياحي إلى عمر بن سعد وقال: يا عمر أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: إي والله قتـالاً أيسَرُه أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي.

فقال الحُر: أفمالكم فيما عَرَضه عليكم رِضىً؟

قال عمر: أما لو كان الأمر لي لفعلت، ولكن أميرك أبىٰ.

فأقبل الحرّ حتى وقف موقفاً من الناس، فأخذ يَدنـو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن

أوس: ما تريد أن تصنع؟ أتريد أن تَحمل عليه؟

فلم يُجبه الحُر، وأخذه مِثْلُ الإفكِل وهي الرَعْدة، فقال له المهاجر: إنّ أمرك لمريب، والله ما رأيتُ منك في موقف قطّ مِثْل هذا، ولو قيل لي مَن اشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟!

فقال الحُر: إني والله أُخيِّر نفسي بين الجنّة والنار؛ فو الله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطّعتُ وحُرّقت.

ثم ضرب فرسه قاصداً نحو الحسين ويده على رأسه وهو يقول: اللهمَّ إليك أنبتُ فتُبْ عليَّ، فقد أرعبتُ قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيّك، فلما دنى من الحسين قال له: مَن أنت؟ قال: جعلَني الله فداك أنا صاحبك الذي حبَستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجَعجَعتُ بك في هذا المكان، وما ظننتُ أن القوم يَردّون عليك ما عَرضته عليهم ولا يبلغون بك

هذه المنزلة، وأنا تائبٌ إلى الله مما صنعتُ، فترىٰ لي من ذلك توبة؟ قال: نعم يتوب الله عليك فانْزل.

قال: أنا لك فارساً خير مني لك راجلاً أُقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول يَصير آخر أمري، فقال له الحسين: فاصنَع رحمك الله ما بَدا لك.

فاستقدم أمام الحسين فقال: «يا أهل الكوفة لأُمِّكم الهُبل والعبر أدعوتُم هذا العبدَ الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتُم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، عَدَوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجّه إلى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير المرتهَن لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً، وحَلّأتموهُ ونساءه وصِبيته عن ماء الفرات الجاري الذي تَشربه اليهود والنصارىٰ والمجوس، وتمرغ به خنازير السواد وكلابُه، وهاهم قد صَرعَهم العطش، بئسما خلّفتم محمّداً في ذرّيته، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر».

فحَمل عليه رجال يرمونه بالنَبل، فأقبل حتى وقفَ أمـام الحسين واستأذنَ قائلاً: يابن رسول الله كنتُ أول خارجٍ عليك، فاذَنْ لي لأكون أولَ قتيلٍ بين يديك، وأولَ مَن يُصـافح جدّك غداً، فأذن له الحسين فبرز مرتجزاً:

إنّي أنـا الحـرُّ ومـأوىٰ الضَيفِ
أَضرِبُ في أعنــاقِكُمْ بالسَيفِ
عن خيرِ مَن حَلَّ بأرض الخيفِ
أضربكـم ولا أرىٰ من حَيفِ

وحمـلَ عليهم وقَتل منهم نيفاً وأربعين رجلاً، فعقَروا فرسه فجعل يقاتلهم راجلاً، ثم شَدَّت عليه عصـابة فقتلوه، فلما صُرع وقف عليه الحسين ودمُه يَشخَب، فجعـل الحسين يمسح الدم والتراب عن وجهـه وهـو يقـول: بخٍ بخٍ يا حُر، أنت الحُر كما سمّتْك أُمك، وقضىٰ نَحبه وحملتْه عشيرته ودفنته.

وبرز بُرير بن خُضير الهمداني بعد الحُر، وكان

من عباد الله الصالحين فجعل يحمل عليهم ويقول: «اقتربوا مني يا قتَلَة أولاد رسول الله وذريته الباقين»، حتى قَتل منهم ثلاثين رجلاً فخرج إليه يزيد بن المغفّل أو معقل، وقرّرا المباهلة إلى الله في أن يَقتل المحِقُّ منهما المبطِلَ، فقتله بُرير، ثم حَمل عليه القوم وقتلوه رحمه الله.

ثم برزَ مسلم بن عوسجة وجعل يقاتلهم قتالاً شديداً، وبالغ في قتال الأعداء وصَبر على أهوال البلاء، حتى سَقط صريعاً فمشىٰ إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر وبه رَمق من الحياة، فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم، فمنهم مَن قضىٰ نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلا، ثم دنىٰ منه حبيب ابن مظاهر وقال: يَعزُّ والله عليَّ مصرعك يا مسلم أَبشر بالجنة، فقال مسلم ـ بصوت ضعيف ـ: بشّرَك الله بالخير، فقال حبيب: لولا أعلم أني في الأثر لأحببتُ أن توصي إليَّ بكلّ ما أهمّك، فقال مسلم: أُوصيك

بهذا (وأشار إلى الحسين) قاتِلْ دونه حتى تموت. فقال حبيب لأنعمنّك عينا.

نَصروكَ أحياءاً وعنـدَ مماتِهم
يوصي بنصرتكَ الشفيقُ شفيقا
أوصىٰ ابنُ عوسجـةٍ حبيباً قال
قاتـل دونـه حتى الحِمام تذَوقا

ونادىٰ أصحاب عمر بن سعد ـ مستبشرين ـ: قد قتلْنا مسلم بن عوسجة، فصاحتْ جارية له: وا سيّداه، يابن عوسجتاه.

فلما سمع ابنه ذلك دخل علىٰ أُمّه وهو يبكي فقالت: ما يبكيك؟ قال: أُريد الجهاد، فقامت أُمّه وشَدّتْ سيفاًفي وسطه وقالت: أُبرز يا بُني فإنك تجدُ رمحاً مطروحاً بين أطناب المخيَّم. فخرج وأراد حمْلَ الرمح فلم يتمكّن، وجعل يَسحبه على الأرض سَحْبا، فبصُرَ به الحسين فقال: إنّ هذا الشاب قد قُتل أبوه في المعركة وأخاف أُمّه تكرَه برازه فقال الغلام: يا

سيدي إنّ أُمي ألبسَتْني لأمة حَرْبي فبرزَ مُرتجزاً:

أمـيري حسينٌ ونِعمَ الأمير سُرورُ فؤادِ البشـيرِ النذير
عليٌ وفــاطمــة والــداه فهل تعلمونَ له مِن نظير
له طلعةٌمثلُ شمسِ الضُحىٰ له غرّةٌ مِثْـل بَدْرٍ مُنـير

فقاتلَ حتى قُتل فاحتزوا رأسَه، ورَمَوا بالرأس نحـو معسكـر الحسين، فأخذت أُمُه رأسه وقالت: أحسنتَ يا بُني يا سرور قلبي يا قُرّة عيني، ثم رَمتْ برأس وَلَـدهـا وأخذتْ عمودَ الخيمة وحملتْ عليهم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة خاوية بالـية نحـيفـة
أضربكم بضربـةٍ عنيفـة دون بَني فاطمة الشريفة

فأمرَ الحسين بصَرْفها ودعاها.

ثم برزَ وهَب بن عبـد الله الكلبي، وكـان نصرانياً ومعه أُمه وزوجته فأسلَموا على يد الحسين في أثناء الطريق ورافَقوه إلى كربلاء، فأقبلتْ أُمه وقالت: يا بُني قُم وانصُر ابنَ بنت رسول الله.

فقال: أَفْعلُ يا أُماه ولا أُقصِّر، فبرزَ وهو يقول:

إن تُنكـروني فأنـا ابن الكلبي
سوف تروني وتَــرونَ ضرْبي
وسَــطوتي وجـولتي في الحـرب

فقَتل جماعة منهم، ثمّ رجَع إلى أُمّه وقال: يا أُماه أرضيتِ عنّي؟

فقــالــت ما رضـيتُ حتـى تُقتــلَ بين يدي الحسـين، فقالت امرأته: بالله عليك لا تُفجعني في نفسـك، فقـالت أُمه: أُعزبْ عنها ولا تقبل قولها، وارجع وقاتِلْ بين يدي ابن بنت رسول الله تَنَلْ شفاعة جدّه يوم القيامة.

فرجـع فلم يَزل يُقاتل حتى قَتل تسعة عشر فارسـاً وعشرين راجـلاً، ثم قُطعتْ أصـابـع يده، وأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأُمي! قاتِلْ دون الطيّبين حرم رسول الله، فأقبل كي يَردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن

أعـود أو أمـوت معك، فقال لها: كنتِ تَنهينَني عن القتـال والآن تُحرّضينني؟ قالت: يا وهَب لقـد عِفتُ الحياة منذ سمعتُ نداء الحسين ينادي وا غربتاه وا قلّة ناصراه، أما مِن ذابٍّ يَذبُّ عنّا؟ أما مِن مجير يُجيرنا؟

ثم استعانَ وهبٍ بالحسين وقال سيدي رُدّها، فقال الحسين: جُزيتم مِن أهل بيتٍ خيراً، إرجعي إلى النساء يرحمكِ الله، فانصرفت، وقُتل وهب ورَموا برأسه إلى عسكر الحسين، فأخذت أُمّه الرأس فقبّلته وجعلت تمسح الدم من وجهه وهي تقول: الحمد لله الذي بَيّضَ وجهي بشهادتك ـ يا ولدي ـ بين يدي أبي عبـد الله الحسـين. ثم رَمتْ بالرأس وأخذت عمود الخيمـة فقـال لها الحسين: ارجعي يا أُم وهب أنتِ وابنكِ مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فذهبت امرأته تمسح الدم والتراب عن وجهه وهي تقـول: هنيئـاً لك الجنَّة. فبصُرَ بها شمرٌ فأمرَ غلامَه فضَربها بعمود فقَتلها، وهي أول امرأة قُتلت في

عسكر الحسين.

ولم يزالوا كذلك حتى دَخل وقتُ الظهر، فجاء أبو تمامة الصيداوي وقال: يا أبا عبد الله أنفسنا لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، لا والله لا تُقتل حتى أُقتل دونك . . . وأُحبُ أن ألقىٰ الله عزّوجلّ وقد صلّيتُ هذه الصلاة معك.

فرفَع الحسين رأسه إلى السماء وقال: ذكرتَ الصلاة جعلَك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال عليه السلام: سَلوا هؤلاء القوم أن يكُفّوا عنّا حتى نصلّي، فأذَّن الحسين بنفسه، وقيل: أَمر مؤذّنه ليؤذّن، ثم قال الحسين: وَيلك يابن سعد أنسيتَ شرائعَ الإسلام؟ أَقصِر عن الحرب حتى نصلّي وتصلّي بأصحابك ونعود إلى ما نحن عليه من الحرب، فاستحىٰ ابن سعد أن يُجيبه، فناداه الحُصين ابن نمير ـ عليه اللعنة ـ قائلاً: صَلّ يا حسين ما بَدالك فإن الله لا يَقبل صلاتك.

فأجابه حبيب بن مظاهر: ثكلتْك أُمك، ابنُ رسول الله صلاته لا تُقبل وصلاتك تُقبل يا خمّار؟؟!

فقال الحسين لزهير بن القَين وسعيد بن عبد الله: تَقدّما أمامي حتى أُصلّي الظهر. فتقدّما أمامه في نحــو نصفٍ من أصحــابـه حتى صلّىٰ بهم صلاة الخـوف، وسعيد تقـدّم أمام الحسين فاستهدف لهم فجعلوا يرمونه بالنبال كلّما أخذ الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه فما زال يُرمىٰ إليه حتى سَقط على الأرض وهو يقول: اللهمَّ العنهم لعنَ عادٍ وثمود، اللهمَّ أبلغ نبيّك عني السـلام. وأبلغـه ما لقيتُ من ألم الجراح فإنني أردتُ بذلك نصرة ذريّة نبيّك ثم مات رحمه الله.

وخرج حبيب بن مظاهر وودَّع الحسين وجعل يقاتل وهو يقول:

أنــا حبيبٌ وأبي مظاهـرُ　　فارسُ هَيجــاءوحَرب تَسعـرُ
أنـتم أعــدّ عدّة وأكثــر　　ونحن أوفىٰ منكم وأصبرُ
وأنتمُ عنـد الـوفاء أغدر　　ونحن أعلى حُجّة وأظهرُ

فقَتل اثنين وستين فارساً ثم قُتل فبانَ الإنكسار في وجه الحسين، فقال الحسين: للهِ درُّك يا حبيب لقد كنتَ فاضلاً تَختم القرآن في ليلة واحدة.

وتقدّم زهير بن القين وقاتل قتالاً لم يرَ مثله، ثم رجع ووقف أمام الحسين وجعَلَ يَضرب علىٰ منكب الحسين ويقول:

فَدتْكَ نفسي هادياً مهديّا　　اليوم ألقىٰ جَدّك النبيّا

وحَسَنا والمرتضى عليّا

إلى آخر أبياته، فكأنّه ودّعَ الحسين وعاد يقاتل حتى قَتل مائة وعشرين رجلاً، ثم قُتل رحمه الله، ووقف عليه الحسين وقال: لا يُبعدك الله يا زهير، ولَعن قاتِلَك لَعْن الذين مُسِخوا قردة وخنازير.

وجاء عابس بن شبيب الشاكري ومعه شوذب مولىٰ آل شاكر، فقال عابس: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع اليوم؟

فقال: ما أصنع؟!، أُقاتل معك دون ابن بنت

رسول الله حتى أُقتل، فقال له عابس: ذلك الظنّ بك، أما الآن فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسَبَ غيركَ مِن أصحابه وحتى أحتسِبك أنا، فإنه لا عملَ بعد اليوم وإنما هو الحساب.

فتقدّم شوذب واستأذن وقاتل وقُتل.

وتقدّم عابس إلى الحسين وسلّم عليه وقال: يا أبا عبد الله، والله ما أمسىٰ على وجه الأرض قريب أو بعيد أعزّ عليَّ ولا أحبّ إليَّ منك ولو قدرتُ أن أدفع عنك الضيق أو القتل بشيء أعزّ علىٰ من نفسي ودمي لفعلتُه، السلام عليك يا أبا عبد الله، إشهد أني على هُداك وهُدى أبيك، ثم مشىٰ بالسيف مُصلتاً نحو القوم.

فصاح رجل من أهل الكوفة: هذا أَسد الأُسود هذا ابن شبيب. فأخذ عابس يُنادي: ألا رجل ألا رجل؟ فلم يَتقدّم إليه أحد، فنادىٰ عمر بن سعد:

إرضخوه بالحجارة، فرُمي بالحجارة مِن كلّ جانب، فلما رأىٰ ذلك ألقىٰ درعه ومغفره خلفه، ثم شدّ على الناس.

قال الرواي: فو الله لقد رأيتُه يَطرد أكثر من مائتين من الناس، حتى أثخنوه بالجراح ضرباً وطعناً ورمياً وقتلوه رضوان الله عليه.

وأقبل جَون مولىٰ أبي ذر الغفاري يَستأذن في القتال، فقال الحسين: يا جون أنتَ في إذن مني فإنما تَبعتَنا طلَباً للعافية، فلا تَبتَل بطريقنا، فقال جَون: يابن رسول الله أنا في الرخاء الحَسُ قِصاعَكم وفي الشدّةِ أخذلكم؟!، والله إنّ ريحي لَنَتِن، وان حَسبي للئيم، وان لَوني لَأسود، فتنفّس عليَّ بالجنة فتَطيب ريحي ويَشرف حَسبي ويَبيضّ وجهي، لا والله لا أُفارقكم حتى يَختلِطَ هذا الدم الأسود مع دمائكم.

فأذِن له الحسين فبرزَ يرتجز ويقول:

كيفَ يرىٰ الكفّارضَرْب الأسودِ
بالمشرفيّ والـقـنـا المسَـدّدِ
يَذُبُّ عن آل الـنبـيّ أحمـدِ
يَذبُ عنهـم باللسـان واليَدِ

فقَتل خمساً وعشرين رجلاً ثم قُتل، فوقف عليه الحسين وقال: اللهمَّ بَيّضْ وجهَه وطَيّب ريحه، واحشُره مع الأبرار، وعَرِّف بينَه وبين محمّد وآل محمّد.

وخرج غلام تُركي وهو يقول:

البحرُ مِن طَعْني وضَربي يَصطلي
والجـوُّ مِن نَبلي وسهمي يمتلي
إذا حُسـامي في يميني يَنجلي
يَنشقُّ قلبُ الحاسد المبخلِ

فقتَل جماعة ثم سَقط فجاءه الحسين وبه رَمق يومي إلى الحسين، فبكىٰ الحسين واعتنقه ووضع خَدَّه على خدّه، ففتح الغلام عينيه وتبسَّم وفاضت نفسُه.

ثمّ برز عمـرو بن خالـد الصيداوي وقال

للحسين: يا أبا عبد الله جُعلتُ فداك هَممتُ أن الحقَ بأصحـابك وكرهتُ أتخلّف فأراك وحيداً مِن أهلك قتيلاً، فقال له الحسين: تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة، فقاتَلَ حتى قُتل، وبرزَ ابنُه خالد مُرتجزاً فقاتَلَ حتى قُتل.

ثم جاء حنظلة بن أسعد الشبامي فوقفَ بين يدي الحسين يَقيه السهام والرماح بوجهه ونحره.

فقـال له الحسين: يابن أسعد إنهم استوجبوا العذاب حين رَدُوا عليك ما دَعوتَهم اليه من الحقّ. فقـال: صدقتَ جُعلت فداك أفلا نَروح إلى الآخرة ونَلتحق بإخواننا؟

فقال له الحسين: بلىٰ، رُحْ إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها وإلى ملك لا يبلىٰ، فقال: السلام عليك يا أبـا عبـد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، عرّف الله بيننا وبينك في الجنة، فقال الحسين: آمين آمين.

فاستقدمْ وقاتَلَ قِتال الأبطال وصَبَر على احتمال الأهوال حتى قُتل.

فبرزَ سعد بن حنظلة التميمي، وقاتل قتالَ الأسد الباسِل، وبالَغ في الصبر على الخَطْب النازِل، حتى سَقط صريعاً بين القتلىٰ وقد أُثخن بالجراح، فلم يَزل كذلك وليس به حراك حتى سمعهم يقولون: قُتل الحسين فتحامل، وأخرج سِكّيناً مِن خُفّه وجعل يُقاتلهم بها حتى قُتل.

وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري فاستأذن الحسين فأذن له، فقاتَل قتالَ الأسد الباسل، وكان لا يأتي إلى الحسين سهم إلّا اتقّاه بيده، ولا سيف إلا تلقّاه بمهجته، فلم يكن يَصِل إلى الحسين سوء حتى أُثخنَ بالجراح. فالتفتَ إلى الحسين وقال: يابن رسول الله أوفيتُ؟ فقال الحسين: نعم، أنت أمامي في الجنة، فاقرأ رسولَ الله عني السلام وأَعلِمه أني في الأثر.

وبـرز جابـر بن عروة الغفاري، وكان شيخاً كبيراً قد شهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بَدْراً وحُنينـاً، فجعـل يشـدّ وسَـطه بعمامة، ثم شدّ حاجبيه بعصـابة ثم رفعهما عن عينيه والحسين يَنظر إليه ويقول: شكَر الله سعيك يا شيخ، فبرز وقاتل حتى قَتل ثمانين رجلاً، ثمّ قُتل.

وبرز عبد الله وعبد الرحمن الغفاريان فقالا: السلام عليك يا أبا عبد الله أحببنا أن نُقتل بين يديك فقال (عليه السلام): مرحباً بكما اُدنوا مني؛ فدنَوا منه وهما يبكيان فقال: يا بَني أخي ما يبكيكما؟ فو الله اني أرجوا أن تكونا بعد ساعة قريري العين؟

فقـالا: جعَلَنـا الله فداك واللهِ ما على أنفسنا نبـكي ولكن نبكي عليك، نَراكَ قد اُحيط بك ولا نَقـدر أن ننفعك، فقال الحسين: جزاكما الله يا بَني أخي بوَجدِكما ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أفضلَ جزاء المتقين، ثمّ استقدما وقالا: السلام عليك يابن رسول

الله، فقـال: وعليكـما السـلام ورحمة الله وبركاته، وقاتَلا حتى قُتلا.

فعند ذلك وصلَتِ النوبة إلى بَني هاشم، وأولُ مَن قُتل منهم عليّ بن الحسين الأكبر، وأُمه ليلى، وفيه يقول الشاعر:

لَم تَر عينٌ نظَرتْ مثْـلَه
مِن محتفٍ يمشي ومِن ناعِـلِ
أعني ابنَ ليلى ذاالسَدىٰ والنٰدىٰ
أعني ابنَ بنتِ الشرَفِ الفاضِل
لا يؤثِـرُ الـدنـيا على دينـه
ولا يَبـيع الحـقَّ بالـبـاطـل

وكان مِن أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خَلقاً وخُلقاً، فاستأذن أباه في القتال فنظر إليه الحسين نظرَ آيس منـه، وأرخىٰ عينيه وبكىٰ، ورفـع سبابتيه أو شيبته الشريفة نحو السماء وقال: «اللهمَّ اشهدَ على هؤلاء القـوم فقد برزَ اليهم غلام أشبه الناس خَلقاً

وخُلقـاً ومَنـطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتَقنا إلى نبيك نظرنـا إلى وجـه هذا الغلام، اللهمّ امنَعهم بركات الأرض وفـرّقهم تفـريقـاً ومـزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً ولا تَغفر لهم أبداً، ولا تُرضي الولاة عنهم أحداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

ثم صاح: يابن سعد ما لَك؟ قَطع الله رَحِمك ولا بارك الله في أمرك، وسَلّط عليك مَن يَذبحك بعدي على فراشك، كما قطعت رَحمي ولم تَحفظ قرابتي مِن رسول الله، ثم رفع صوته وتَلىٰ: «إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم وآل عمران علىٰ العالمين».

فحملَ عليّ الأكبر علىٰ القوم وهو يقول:

أنـاعليُّ بن الحسين بن علي   نحنُ وبيت الله أولى بالنبي
أطعنكم بالـرمـح حتى يثْني   أضربكم بالسيف أحمي عن أبي
ضَربَ غلامٍ هاشميٍّ علويّ   والله لا يَحكم فينـا ابن الـدَعيّ

فشـدَّ على الناس وقَتل منهم خَلقا كثيراً حتى

ضجّ النـاس من كثرة من قُتل، فرويَ أنه قَتل مائة وعشرين رجلاً، فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة وهو يقول: يا أبه العطش قد قَتلني وثقلُ الحديد قد أجهدَني، فهل إلى شربة من الماء سبيل أتقوّىٰ بها على الأعداء.

يَشكُـو لخير أبٍ ظماهُ وما اشتكىٰ
ظمأالحشـا إلاّإلىٰ الـظامي الصَـدي
كلُّ حشـاشتُـه كصالية الغَضا
ولســانــه ظمــأً كشقّــةِ مِبردِ

فبكى الحسـين وقال: وا غوثاه يا بُني، يَعزّ على محمّد المصطفىٰ وعلىٰ عليّ المرتضىٰ وعليًّ أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بُني قاتل قليلاً، فما أسرع أن تلقىٰ جدك محمّـداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيَسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً، يا بُني هات لسانك. فأخذ لسانه فمصَّه، وأعطاه خاتمه وقال: أمسكه في فمك وارجع إلى عدوّك، فإني أرجو

أن لا تُمسي حتى يسقيك جَدّك، ولدي عُدْ بارَك الله فيك.

فرجع مرتجزاً:

الحــربُ قد بانَــتْ لها حقــائــق
وظـهــرتْ من بعـضهــا مصــادق
والله ربِ الــعــرش لانُــفــارق
جموعــكــم أو تغـمــدُ الـبــوارق

ولم يزل يقاتل حتى قَتل تمام المائتين، فضربه مُرَّة بن منقذ العبدي ضربةً صرعته، وضربه الناس بأسيافهم فاعتنق فرسَه فاحتمَله الفرس إلى معسكر الأعداء فقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، فلما بلغتْ روحُه التراقي نادىٰ رافعاً صوته: أبه هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفىٰ شربةً لا أظمأ بعدها أبداً، وهـو يقول: العجـل العجل فإن لك كأساً مذخورة تَشربها الساعة.

فجاءه الحسين ورفع صوته بالبكاء ولم يَسمعْ

أحد إلى ذلك الزمان صوت الحسين بالبكاء، فقال: قَتـل الله قومـاً قتلوك، ما أجرأَهم على الرحمن وعلى انتهاكِ حرمة الرسول، أمّا أنتَ يا بُني فقد استرحت مِن هَمِّ الدنيا وغمومها، وسِرتَ إلى رَوح ورَيحان وجَنّة ورضـوان وبقي أبوك لهمّها وغمّها، فما أسرع لحوقه بك، ولدي علىٰ الدنيا بعدك العفا.

أبــنيَّ هل لك عودةٌ   حتىٰ أقــول مســافــرُ
كنت الســواد لناظـري   فعـليك يبكي النــاظــرُ
من شاءَ بعــدك فليمتْ   فعــليك كنـتُ أحــاذرُ
فإذا نطقـتُ فمنــطقي   بجميل وصفــك ذاكــرُ
وإذا سكــتُ فإن في   بالي خيالــك خاطــرُ

* * *

يا كوكبــا ما كانَ أقصرَ عمـرَه
وكـذاك عمرُ كواكبِ الأسحار

* * *

فعند ذلك خرجت زينب الكُبرى من الخيام

مُسرعة وهي تنادي: وا ولداه؛ وا مهجة قلباه؛ فجاءت وانكبّتْ عليه، فجاء الحسين وأخذ بيدها ورَدّها إلى الفسطاط، ثم نادى: يا فتيان بَني هاشم هلمّوا واحمِلوا أخاكم إلى الفسطاط.

فجاء القاسم بن الحسن وهو غلام لم يَبلغ الحُلُم فقال: يا عم الاجازة لأمضي إلى هؤلاء الكفَرة؟ فقال له الحسين: يابن أخي أنت مِن أخي علامة وأُريد أن تبقىٰ لي لأتسلّىٰ بك، فلم يزل القاسم يُقبّل يديه ورجليه حتى أذِنَ له، فقال له الحسين: يا بُني أتمشي برجلك إلى الموت؟ فقال: يا عمّ وكيف لا؟ وأنت بين الأعداء بقيتَ وحيداً فريداً لم تجد محامياً.

فأركبه الحسين على فرسه فخرج القاسم ودموعه تسيل على خديه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحَسنْ

سبط النبي المصطفىٰ المؤتمنْ

هذا حسـين كالأسير المرتهَـنْ
بين أُنـاسٍ لاسُقـواصَوب المزُنْ

وكـان وجهه كفلقة قمر، فقاتل قتالاً شديداً حتى قَتل على صِغَر سِنّه خمساً وثلاثين رجلاً، وقيل سبعين فارساً، فانقطع شِسْع نَعله، فانحنىٰ ليصلح شِسعَ نعله، فضربه عمرو بن سعد الازدي على رأسه فوقـع الغلام لوجهه ونادى: يا عمّاه أدركني، فجاءه الحسين كالصَقْر المنقَضّ فتخلَّلَ الصفوف، وشدّ شدة الليث المغضَب فضرب الحسـين عَمراً قاتل القاسم بالسيف فاتقـاه بيده فأطنّها مِن لَدن المرفق، فصاح اللعـين صيحـة سمعها أهل العسكر ثم تنحّىٰ عنه الحسين فحملتْ خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عَمراً من الحسـين، فاستقبلتـه الخيل بصـدورها وشرعتـه بحوافرها، ووطأته حتى مات إلى جهنم.

فلما انجلتِ الغُبرة وإذا بالحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه فقال الحسين: يَعزّ والله

على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يعينك أو يعينـك فلا يُغني عنـك، بُعـداً لقومٍ قتلوك ومَن خَصمهم يوم القيامة جَدّك وأبوك، هذا يوم والله كثر واتره وقلّ ناصره.

ثم احتـمَله على صدره ورِجْـلاه تخطّان في الأرض خَطّاً حتى ألقاه بين القتلىٰ من أهل بيته.

ثم برزَ مِن بعده أخوه أحمد بن الحسن، وله من العمر ستة عشر سنة فقاتل حتى قَتل ثمانين رجلاً، فرجـع إلى الحسـين وقـد غارتْ عينـاه من العطش فنادى: يا عمّاه هل من شربة ماء أُبرّد بها كبِدي؟

فقال له الحسين: يابن أخي اصبر قَليلاً حتى تلقىٰ جدّك رسول الله فيسقيك شربة من الماء لا تظمأ بعدها أبداً.

فرجع إلى القوم وحمل عليهم وقَتل منهم ستين فارساً حتى قُتل. وبرزَ أخوه أبوبكر بن الحسن وهو يقول:

إن تنكــروني فأنــا ابن حيدرة
ضرغــام آجــامٍ وليث قسـورة
على الأعادي مثل ريح صَرصرة
أكيلكم بالسَيف كيلَ السنـدرة

فقاتل حتى قُتل.

فعند ذلك خرج أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولُ مَن خرج منهم أبـوبكـر بن أمير المؤمنين فقاتل حتى قُتل.

وبرز عون بن أمير المؤمنين فقال له الحسين: كيف تقاتل هذا الجمع الكثير والجمّ الغفير؟ فقال: مَن كان باذلاً فيك مهجته لم يُبال بالكثرة والقلّة، ثم حَمل فقَتـل مقتلة عظيمة، فاحتوشه ألفان، ففرّقهم يميناً وشـمالاً، وتَخلَّلَ الصفوف ثم رجع إلى الحسين فقبّـله الحسـين وقـال له: أحسنتَ لقـد أُصبت بجراحات كثيرة فاصبر هنيئة.

فقـال عون: سيدي أردتُ أن أحـظى منك

وأتـزوّد من رؤيتـك مرة أُخرى، فرجع وقاتل ورُمي بسهم وقضىٰ نحبه.

فعند ذلك وَصلِت النوبة إلى أولاد أم البنين، فقال لهم العباس بن أمير المؤمنين: يا بَني أُمي تقدّموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم تقدّموا ـ بنفسي أنتم ـ فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه.

فبرز عبـد الله بن أمـير المؤمنـين وعمره خمس وعشرون سنـة، فقتَل أبطالاً ونكّس فرساناً، فقتله هاني بن ثبيت الحضرمي عليه اللعنة.

ثم برز جعفر بن أمير المؤمنين فقاتل وقَتل جمعاً كثيراً، فقتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

فبرز عثـمان بن أمـير المؤمنين، وعمره إحدىٰ وعشرون سنة فقاتل حتى قُتل.

فبقي العباس بن علي قائماً أمام الحسين يقاتل دونه، وكان العباس بطلاً جسيماً وسيما، يركب الفرس

المـطهَّم ورجـلاه تخطّان على الأرض خطا، ويُلقّبْ بالسقّاء وقمر بَني هاشم.

فجاء نحو أخيه الحسين فقال: يا أخا هل من رخصـة؟ فبكىٰ الحسـين حتى ابتلّت لحيته بدموعه فقال: أخي أنت العَلامة من عسكري فإذا غدوت يؤول جمعنا إلى الشتات وتنبعث عمارتنا إلى الخراب، فقال العباس: فداك روح أخيك لقد ضاق صدري من حياة الدنيا وأُريد أخذ الثأر من هؤلاء المنافقين.

فقال له الحسين: فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلا من المـاء، فبرز الـعبـاس فلمّا توسّط الميدان وقف ونادى: يا عمر بن سعد هذا الحسين بن بنت رسول الله يقول لكم: انكم قتلتم أصحابه وإخوته وبَني عمّه وبقي فريداً مع أولاده وعياله وهم عطاشا، قد أحرق الـظمـأ قلوبهم فاسقـوهم شربة من الماء لأن أولاده وأطفاله قد وصلوا إلى الهلاك... إلى آخر كلامه.

فلما سمع أهل الكوفة كلام أبي الفضل فمنهم

مَن سكت ومنهم مَن جلس يبكي، وخــرج شمــر وشبث بن ربعي (عليهما اللعنة) وقالا: يابن أبي تراب قُلْ لأخيك: لو كان كلّ وجه الأرض ماءاً وهو تحت أيدينا ما سقيناكم منه قطرة حتى تدخلوا في بيعة يزيد.

فتبسّم العباس فرجع إلى الحسين وأخبره بمقال القوم، فبكىٰ الحسين حتى بلَّ أزياقه من الدموع، فسمــع العبــاسُ الأطفــالَ وهم يُنــادون: العــطش العطش. فركب فرسَه وأخذ رمحه والقِرْبة، وكان عمر بن سعد قد وكَّلَ أربعة آلاف رجلا على الماء لا يدَعون أحداً من أصحاب الحسين يشرب منه.

فحمل عليهم العباس ففرّقهم وكشفهم وقتل منهم ثمانين رجلا وهو يقول:

لا أَرهبُ المــوتَ إذا المــوت رقا
حتى أُواريٰ في المصاليت لقىٰ

اني أنـا العبـاس أغـدو بالسِقا

ولا أخـــاف الشرَّ يوم المـلتقىٰ

حتى دخل الماء فلمّا أراد أن يشرب غُرفة من الماء ذكر عطش الحسين وأهل بيته فرمىٰ الماء وهو يقول:

يانفسُ مِن بعدالحسين هُوني ... وبعده لا كنتِ أن تكوني

هذاالحُســين شارب المنونِ ... وتشربــينَ باردَ المعــين

هيهـات ما هذا فعال ديني ... ولا فعـال صادق اليقين

فمـلأ القـربـة وحَملها على عاتقه وتوجّه نحو الخيمـة فقـطعـوا عليه الـطريق وأحاطوا به مِن كل جانب، وأخذوه بالنبال حتى صار درعه كجِلْد القُنفذ من كثرة السهام، فكمِنَ له زيد بن ورقاء مِن وراء نخلة وعـاوَنَـه حكيم بن طفيل فضربـه على يمينـه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتُـم يمـيني ... إني اُحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقين ... نجـل النبي الـطاهـرالامـينِ

فقاتل حتى ضعف. فقطعوا شماله فجعل يقول:

يانفس لاتخشي من الكُفّار   وأبشري برحمـةِ الجبّـار
قد قَطعوا ببغيهم يَساري   فأصلِهم يا ربّ حَرّ النار

فجاء سهم وأصاب القربة وأُريق ماؤها، فبقي العباس حائراً ليس له يد فيقاتل ولا ماء فيرجع إلى الخيمة، فضربه رجل بعمود من الحديد فسقط عن فرسه ونادىٰ يا أخي أدرك أخاك. . .

عَمدُالحديدِ بكربلاخَسف القَمر
مِن هاشـم فَلتبكِـه عليا مُضرْ
أو مادِرتْ من مُهرهِ العباس خَرْ
فمشى إليه السبط ينعـاهُ كَسر
تَ الآن ظهري ياأخي ومعيني

فإنقضّ إليه الحسـين كالصقـر فرآه مقـطوعَ اليدين مفضوخ الجبين مشكوكَ العين بسهم، فوقف عليه منحنياً وجلس عند رأسه يبكي، ففاضتْ نفس

أبي الفضل فقال الحسين: أخي الآن انكسر ظهري وقلّتْ حيلتي وشمت بي عدوي.

فهـوى عليه ماهـنـالـك قائـلاً

الـيومَ بانَ عن اليمـين حُسـامهـا

الـيوم آلَ إلى الـتـفـرّق جمعُنـا

اليوم هدّعن البنـودِنـظامـهـا

الـيوم سارعن الكتـائب كبشُهـا

الـيوم غابَ عن الصـلاةإمـامهـا

الـيومَ نامـتْ أعـينٌ بك لم تَنـم

وتسهـدّتْ أُخـرى فعـزّمنـامهـا

* * *

عباسُ تَسمع زَينباً تدعوك مَن

ليَ يا حِمايَ إذا العدىٰ سَلَبوني

أو لستَ تسمعُ ما تقولُ سُكينة

عمّاه يومَ الأسرِ مَن يَحمـيني

ثم قام ورجـع إلى الخيمـة فاستقبلتـه ابنتـه سكينة، وقالت: أبتاه هل لك عِلم بعمّي العباس،

فبكىٰ الحسين وقال: يا بنتاه إن عمّك قُتل.

وخرج محمد بن عبدالله بن جعفر، وأُمّه زينب الكبرىٰ بنت أمير المؤمنين فقاتَلَ حتى قُتل.

ثم برز أخوه عونُ بن عبد الله بن جعفر، وأُمه أيضاً زينب الكبرىٰ فقتل جمعاً كثيراً حتى قُتل.

وبرز أخوهما عبيد الله فقاتل حتى قُتل.

وبرز غلام مِن أخبية الحسين، وفي أذنيه دُرَّتان، وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وقرطاه يتذَبذبان فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربَه بالسيف فقتله، فصارت أُمه تنظر إليه ولا تتكلّم كالمدهوشة.

ثم نادى الحسين: هل مِن ذاب يذبُّ عن حرم رسول الله؟ هل من مُوحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل مِن مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟

فارتفعتْ أصواتُ النساء بالبكاء والعويل، فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب: ناوليني وَلدي

الرضيع لِأودّعه:

أُختُ إيتيني بطفــلي أرَه قبــل الفِـراق

فأتتْ بالـطفـل لايَهـدأ والـدمـعُ مُراقْ

يَتلظّىٰ عطشــاً والقلبُ منـه في احتراقْ

غائـرَالعينـين طاوي البطن ذاوي الشفتينْ

فبـكــىٰ لمّا رآه يتــلظّى من أُوام

بدموع هاطلاتٍ تُخجل السُحبَ سجامْ

فأتـىٰ الـقــومَ وفي كفّيه ذياك الغــلامُ

وهمــا مِن ظماٍ قَلْباهـما كالجمــرتــينْ

فنادى يا قوم قتلتم أنصاري وأولادي، وما بقي غير هذا الطفل، ان لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، لقد جفَّ اللبن في صدر أُمه.

فرماه حرملة بسهم فوقع في نحره فذبحه من الـوريد إلى الوريد. فوضع الحسين كفّيه تحت نَحر الطفل فلمّا امتلأتا دماً رمىٰ به إلى السماء وقال: هَوَّن عليّ ما نزلَ بي أَنه بعين الله، اللهمّ لا يكونن طفلي هذا

أهون عليك مِن فصيل ـ أي فصيل ناقة صالِح ـ .

ثم عاد بالطفل مذبوحاً وحَفر له بجفن سيفه ودفنـه. ووُلد للحسين إبنٌ وقتَ الظهر، فأُتي به إلى الحسين وهو قاعد بباب الخيمة فأخذه في حِجْره فأذّن في أُذنه اليمنىٰ وأقام في اليسرىٰ، فرماه لعين فذبحَه في حِجر الحسين وإلى هذا أشار الشاعر:

ومُنعـطفـاً أهـوىٰ لِتقبيل طِفله
فقبَّـل منـه قَبله السهمُ منحَـرا
لقـد وُلدا في ساعةٍ هو والردىٰ
ومن قَبله في نَحـرِه السهم كبَّرا

ولما قُتل أصحابه وأهل بيته ولم يبق أحد عزَمَ على لقـاء الله، فدَعىٰ ببُردة رسول الله فالتحف بها فأفـرغ عليهـا درعه، وتقلّد سيفه واستوىٰ على مَتن جواده، ثم توجّـه نحـو القـوم وقال: ويلكم على مَ تقاتلونني؟ على حقٍّ تركتُه؟ أم على شريعة بدّلتها؟ أم على سُنّة غيّرتها؟ فقالوا: نقاتلك بغضاً منّا لأبيك وما

فعـلَ بأشياخنـا يومَ بدرٍ وحنين. فلما سمع كلامهم بكىٰ، وجعل يحمل عليهم وجعلوا ينهزمون من بين يديه كأنهم الجـراد المنتَشِر، ثم رجـع إلى مَركزه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهو في تلك الحالة يطلب شربة من الماء وكان يقول:

أنـا ابن عليّ الطُهر مِن آل هاشمٍ
كفـاني بهذا مفخـراً حين أفخَر
وجَـدي رسـولُ الله أكـرم من مشىٰ
ونحن سِراجُ الله في الأرض نَزهـرُ
وفـاطم أُمي مِنْ سلالـةِ أحمـدٍ
وعَمّيَ يُدعىٰ ذا الجنـاحَين جَعفر
وفينـا كتـابُ الله أُنـزل صادقاً
وفينا الهدىٰ والوحيُ بالخير يُذكَر
فنحنُ أمـانُ الله للنـاس كلّهم
نُسرُّ بهذا في الانـام ونـجهَـر

ونحنُ ولاةالحـوضِ نَسقي وُلاتنـا
بكأس رسول الله ما لَيس ينكر
وشيعتُنـا في الحشرِ اكـرم شيعة
ومـبغضُنــا يومَ القيامــة يَخسر
فطوبىٰ لعبـدٍ زارنـا بعـدَ موتنا
بجنـةِ عَدنٍ صَفـوُهـا لا يُكدَّر

فصاح عمر بن سعد: الويل لكم! أتدرون لمن تقـاتلون؟ هذا ابنُ الانـزع البـطين هذا ابنُ قتّال العـرب، إحملوا عليه مِن كلّ جانب. فحمَلوا عليه فحَمـل عليهم كاللّيثِ المغضَب، فجعـل لا يلحق منهم أحداً إلّا بَعجَه بالسيف فقَتله، حتى قَتل منهم مقتلة عظيمة، وفي خَبرٍ أنه قَتلَ ألفاً وتسعمائة وخمسين رجـلا، فحالوا بينه وبين رَحله، فصاح: **ويحكم يا شيعـة آل ابي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافـون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُربا.**

فناداه شمر: ما تقول يابن فاطمة؟

قال أقول: أنا الذي أُقاتلكم وأنتم تقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عُتاتكم وجُهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمتُ حيّا.

فصاح شمر بأصحابه: تنحّوا عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه، فلَعَمري هو كفو كريم، فتراجع القوم.

فنزلتِ الملائكة مِن السماء لنُصرته فلم يأذنْ لهم بشيء، ثم التفتَ يميناً وشمالاً فلم يَرَ أحداً من أصحابه إلا مَن صافح الترابُ جبينَه وقطع الحِمام أنينه، فخاطبَهم وعاتبهم فما سمع منهم جوابا.

لمّارأى السبط أصحابَ الوفا قُتلوا
نادىٰ أباالفضل أين الفارسُ البطَلُ
واين مَن دوني الأرواحَ قد بذلوا
بالأمسِ كانوامعي واليوم قد رحلوا
وخلّفوا في سُويداالقلب نيرانا

ثم نادىٰ برفيع صوته: هل مِن ناصر يَنصرني، هل من مُعين يعينني؟فخرج زين العابدين وهو مريض لا يتمكّن أن يحمل سيفه، وأُمّ كلثوم تنادي خلفه إرجع.

فقال: يا عمّتاه ذَريني أُقاتل بين يدي ابن رسول الله، فقال الحسين: خذيه، لئلّا تبقىٰ الأرض خالية مِن نَسْل آل محمّد.

وفي رواية جاء الحسين واحتمله وأتى به إلى الخيمة ثمّ قال: وَلَدي ما تُريد أن تصنع؟ قال: أبه إن نداءك قطع نياط قلبي، وأُريد أن أفديك بروحي، فقال الحسين: يا ولدي أنت مريض، ليس عليك جهاد، وأنت الحجّة والإمام على شيعتي وأنت أبو الأئمة، وكافل الأيتام والأرامل، وأنت الرادّ لحرمي إلى المدينة.

فقال زين العابدين: أبتاه تُقتَل وأنا أنظر إليك؟ ليت الموت أعدَمني الحياة، روحي لروحك

الفداء، نفسي لنفسك الوقاء.

ثم ذهب الحسين إلى خيام الطاهرات مِن آل رسول الله، ونادىٰ: يا سُكينة ويا فاطمة ويا زينب ويا أُم كلثوم: عليكنّ منّي السلام فهذا آخر الاجتماع، وقد قَرُبَ منكّن الافتجاع.

فَعلتْ أصــواتهن بالبكـاء وصِحْن: الـوداع الوداع الفراق الفراق، فجاءته عزيزته سكينةوقالت: يا أبة إستسلمت للموت؟ فإلى مَن أتَّكِل؟ قال:يا نور عيني كيف لا يستسلم للمــوت مَن لا ناصرَ له ولا معين. قالت: أبه رُدّنا إلى حَرَم جدّنا؟ فقال الحسين: هيهات، لو تُرك القطا لغَفا ونام.

فبكت سكينة فأخـذهـا وضمّهـا إلى صدره ومسح الدموع عن عينها وهو يقول:

سيطول بعــدي ياسكينــةفـاعلمي
منـكِ البكـاء إذا الحِمام دَهاني

لا تُحرقي قَلبي بدمعكِ حسرةً
ما دام منّي الروحُ في جثماني
فإذا قُتلتُ فأنتِ أولىٰ بالذي
تأتينه يا خيرة النسوانِ

ثم إنّ الحسين دعاهنّ بأجمعهن، وقال لهنّ: استعدوا للبلاء واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم، وسينجّيكم مِن شرّ الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب، ويُعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النِعَم والكرامة، فلا تَشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما يُنقص قَدركم.

ثم أمرهنّ بلَبس أُزرِهنّ ومقانعهن، فسألته زينب عن ذلك، فقال: كأنّي أراكم عن قريب كالإماء والعبيد يسوقونكم أمام الركاب، ويسومونكم سوء العذاب، فنادت زينب: وا جَدّاه وا قلّة ناصراه، فشقّت ثوبها ونَتفت شَعرها ولَطمت على وجهها، فقال الحسين لها: مهلاً يا بنت المرتضى إن البكاء طويل،

فأراد الحسين أن يخرج من الخيمة فتعلّقت به زينب، وقالت: مهلاً يا أخي توقّف حتى أتزوّد منك ومن نظري إليك وأُودّعك وداع مفارق لا تلاقي بعده.

فجعلتْ تُقبّل يديه ورجليه، وأَحطنَ به سائر النسوة يُقبّلن يديه ورجليه، فسكّتهن الحسين، وردّهن إلى الفسطاط.

ثم دعىٰ بأُختـه زينب وصبّرها وأمرَّ يده على صدرها وسكّنها من الجزع، وذكر لها ما أعدَّ الله للصابرين، فقالت له: يابن أُمي طبْ نفساً وقَرّ عيناً فإنك تجدني كما تحبُّ وترضىٰ.

فقال الحسين: أُخيَّه إيتيني بثوب عتيق لا يَرغبُ فيه أحد، أجعله تحت ثيابي لئلّا أُجرّدَ بعد قتلي، فإني مقتول مسلوب، فارتفعت أصواتهنّ بالبكاء، فأُتيَ بتبّان، وهو ثوب قصير ضيّق، فقال: لا، ذاك لباس مَن ضُربت عليه الذلّة، فأخذ ثوباً خَلِقاً فخرقه وجعلَه تحت ثيابه فلما قُتل جرّدوه منه.

ثم نادىٰ الحسين هل مَن يُقدّم إلي جوادي؟ فسمعت زينب فخرجت وأخذت بعنان الجواد وأقبلت إليه وهي تقول :لمن تنادي وقد قرحتَ فؤادي

فعاد الحسين إلى القوم فحمل عليهم وكانت الرجال تشُدّ عليه فيَشُدّ عليها، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا حَلَّ فيها الذئب، حَمل علىٰ الميمنة وهو يقول:

الموت خير من ركوبِ العار
والعار أولىٰ مِن دخول النار

وحَمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسين بن عليّ آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبيّ

فجعلوا يرشقونه بالسهام والنبال حتى صار درعه كالقنفذ، فوقف ليستريح ساعة وقد ضعف عن القتال فبينما هو واقف إذ أتاه حَجر فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينه فأتاه سهم محدّد

مسمـوم له ثلاث شُعَبْ فوقع السهم في صدره على قلبه، فقال الحسين: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، ثم رفَع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنـك تعلم أنهم يقتلون رجـلاً ليس على وجه الأرض ابن نبيّ غيره.

ثمّ أخذ السهم وأخرجَه من قفاه فانبعث الدم كالميزاب، فوضَعَ يده على الجرح فلما امتلأت دماً رمىٰ به إلى السـماء، ثم وضـعَ يده على الجـرح ثانياً فلما امتلأت لطّخ به رأسه ولحيته وقال هكذا أكون حتى ألقىٰ جدّي رسول الله وأنا مخضوب بدمي أقول: يا رسول الله قتلَني فلان وفلان.

فعند ذلك طَعنَه صالح بن وهب على خاصرته طعنة، فسقط عن فرسه على خدّه الأيمن وهو يقول: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، ثم جَعـل يجمع التراب تحت يده كالوسادة فيضع خدّه عليها ثم يناجي ربه قائلاً:

صبراً على قضائك وبلائك، يا ربّ لا معبود سواك، ثم وثَب ليقوم للقتال فلم يقدر، فبكىٰ بكاءاً شديداً، فنادىٰ: وا جَدّاه وا محمّداه، وا أبتاه وا عليّاه، وا غربتاه وا قلّة ناصراه، ءَأُقتل مظلوماً وجدّي محمّد المصطفى؟ ءَأُذبح عطشانا وأبي عليّ المرتضى؟ ءَأُترك مهتوكاً وأُمي فاطمة الزهراء؟

ثم خرجت زينب من الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه، وا سيداه، وا أهل بيتاه، ليتَ السماء أُطبقت على الأرض، ليت الجبال تدكدكت على السهل، اليوم مات جدّي اليوم ماتت أُمي.

ثم نادت: ويحك يابن سعد أيُقتَل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فلم يُجبها عمر بشيء، فنادت: ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد.

ثم انحدرت نحو المعركة وهي تقوم مرّة وتقعد أُخرى، وتحثو التراب على رأسها حتى وصلت إلى الحسين فطرحت نفسها على جسده وجعلت تقول:

ءَأنت الحسين أخي؟

ءَأنت ابن أُمي؟

ءَأنت حِمانا؟

ءَأنت رجانا؟

والحسين لا يَردّ عليها جواباً، لأنه كان مشغولاً بنفســه، فقالت: أخي بحق جدّي إلّا ما كلّمتني، وبحق أبي أمير المؤمنين إلا ما خاطبتني، يا حشاشَ مهجتي كلّمني يا شقيق روحي، ففتح الحسين عينَه. فعند ذلك جلست زينب خلفه وأجلسته حاضنة له بصدرها، فالتفت إليها الحسين وقال: أُخيَّة كسرتِ قلبي وزِدْتيني كربـاً فوق كربي، فبـالله عليك إلّا ما سكتْتِ وسكنتِ.

فصــاحــت:واويلاه يابــن أُمــي كيف اسكن واسكت وأنت بهذه الحـالـة تعالج سكراتِ الموت؟ روحي لروحك الفداء، نفسي لنفسك الوقاء.

فخرج عبد الله بن الحسن وهو غلام لم يُراهِق

من عند النساء، فشدّ حتى وقف إلى جَنب عمّه الحسين، فلحقته زينب بنت علي لتحبسه، فقال لها الحسين: إحبسيه يا أُختي فأبىٰ وامتنع عليها امتناعاً شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي، وأهوىٰ ابحر بن كعب إلى الحسين بالسيف فقال له الغلام: ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمّي، فضربَه أبحر بالسيف فاتّقاه الغلام بيده وأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، ونادىٰ الغلام: يا عمّاه يا أبتاه، فأخذه الحسين فضمّه إليه وقال: يابن أخي صبراً على ما نزل بك واحتسب في ذلك الأجر فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين فرماه حرملة بسهم فذبحه في حِجر عمّه الحسين.

ثم صاح عمر بن سعد بأصحابه: ويلكم إنـزلـوا وحُـزّوا رأسه، وقال لرجل: ويلك إنزل إلى الحَسين وأرِحْه. فأقبَلَ عمرو بن الحجّاج ليَقتل الحسين فلمّا دنىٰ ونظرَ إلى عينيه وَلىّ راجعاً مُدبراً، فسألوه عن رجوعه؟ قال: نظرتُ إلى عينيه كأنهما عينا

رسول الله . وأقبل شبثُ بن ربعي فارتعدت يده ورمىٰ السيف هارباً، فعند ذلك أقبل شمر وجلس على صدر الحسين ووقعت المصيبة الكبرى التي يعجز القلم عن وصفها .

يا قتيلاً قوّض الدهرُ به — عمدَالدين وأعلامَ الهدىٰ
قتلوه بعد علمٍ منهم — انه خامس اصحاب الكساء
وا صريعاًعالج الموت بلا — شدّ لحيين ولا مدّ ردا
غسّلوه بدم الطعن وما — كفّنوه غير بوغاء الثرى

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

كربلاء المقدسة ـ العراق

كتَبَه محمد كاظم القزويني

«لقد تشرّف بإلقاء هذا الفصل من واقعة كربلاء الدامية مؤلّفه في يوم عاشوراء سنة ١٣٨٤ هجريّة في الجامع الحسيني الواقع في كربلاء المقدسة ـ العراق».

إهداء

إلى أرواح المرحومين

الحاج حبيب محمد أشكناني

الحاجة مريم صالح أشكناني

الشهيد عباس علي محمد

الحاجة فاطمة فرج غلوم

وأموات شيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

من المؤمنين والمؤمنات

الفاتحة

هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله